حوار مع اللجنة المشرفة على مخيم التنف على الحدود السورية العراقية: المجرمون قتلوا ٨٥٠ فلسطينياً في العراق وهجّروا مئات العائلات

بعد حوالى ستين عاماً على نكبتهم الأولى، يعيش اللاجئون الفلسطينيون في العراق، أو الذين كانوا فيه، نكبة ثانية، أملتها ميليشيات لا تُجيد غير لعبة الدم، وإن تدثّرت بعباءة «لواء الذئب» أو غيره من الأجهزة الرسمية. بعد ستين عاماً اللاجئون الفلسطينيون يبحثون عن موطن لجوء آخر، بعدما تشرّدوا في صحراء العرب، وأقاموا خيماً جديدة في مخيمات «الوليد» و«التنف» و«الهول» وقبلها «الرويشد». مجلة «فلسطين المسلمة» التقت ثلاثة من اللجنة المشرفة على إدارة مخيم «التنف» على الحدود العراقية-السورية وقصّوا المعاناة والاختطاف والقتل الذي تعرّضوا له بالعراق، قُبيل نزوحهم إلى «التنف» وإضافة مخيم جديد إلى مخيمات اللجوء. الثلاثة رفضوا ذكر أسمائهم كاملة خوفاً على حياة بعض أقاربهم الذين ظلوا في العراق، خشية وقوعهم في قبضة الميليشيات قبل الوصول إلى الحدود. لذلك نكتفي بذكر الأحرف الأولى: م. ب.، أ. ر، ث. ح.

يشرع ث. ح.، الرجل الأربعيني، الذي اكتسب سمرة ولهجة عراقيتين، بالحديث عن تاريخ الفلسطينيين في هذا البلد وكيف كان وصولهم إلى العراق في عام ١٩٤٨ مع بعض قطعات الجيش العراقي العائد من حرب فلسطين. ينتمي معظم هؤلاء الفلسطينيين إلى قرى عين غزال، وجبع واجزم من قضاء حيفا، وعملوا في مختلف الميادين التجارية والزراعية وغيرها. عند سقوط النظام العراقي في نيسان/أبريل عام ٢٠٠٣، أخذت وسائل الإعلام العراقية المستوردة بكيل التهم للفلسطينيين واتهامهم بالبعثية ومساندة المقاومة العراقية. وقد أغاظ بعض الآتين من الخارج تبني الرئيس الأسبق صدام حسين للقضية الفلسطينية، وتقديمه الأموال لعائلات الاستشهاديين، فعمد هؤلاء لمطاردة العرب ككل، وخصوصاً الفلسطينيين. يتابع ح. أن الفلسطينيين كانوا حوالى خمسة وعشرين ألف نسمة، موزعين في مناطق مختلفة من العراق، ومعظمهم في بغداد. ونتيجة التهديدات فروا من أحياء الدورة والزعفرانية وأم المعالف والسيدية والحرية، إما إلى خارج العراق، أو إلى حيّ البلديات حيث تجمعهم الأكبر (حوالى ٥٠٠٠ نسمة). فنصبوا الخيام في نادي حيفا في الحيّ. ويتألف حي البلديات من ١٦ مبنى، كل مبنى مؤلف من ٤٨ شقة. وبدأ استهداف هذا التجمّع بالحاويات المفخخة، وإطلاق النار، ولم يبق للفلسطينيين سوى الجلوس في الطوابق الأرضية والتكبير أثناء قصف الهاون، واستهداف التجمع.

سياسات حكومية

يقاطعه م. ب. ليقول إن الحملة اشتدّت مع وصول إبراهيم الجعفري إلى رئاسة الحكومة العراقية، وصبغ مؤسسات الدولة بالصبغة الطائفية، وإطلاق يد الميليشيات. وبادرت الحكومة العراقية إلى إلغاء الإقامة الدائمة للاجئين، وفرضت على الفلسطينيين المراجعة الدورية أمام السلطات الأمنية، وأوقفت إصدار وثائق السفر إلا بشروط تعجيزية، وكانت دوائر الأمن بمثابة مصيدة لهؤلاء الفلسطينيين. وأخذ الأميركيون يطوّقون المجمّع، ثم يسمحون لعناصر الميليشيات الطائفية بالدخول. الطامّة الكبرى يقول ب. حين اعتقلت ميليشيات الحكومة، كما يصفها، عدداً من البسطاء الذين لم يكن لأي واحد منهم تجربة عسكرية، أحدهم بعد أسبوع على زواجه وهو فلسطيني، وفلسطيني آخر، وعراقي. واتُهموا بتنفيذ عملية بغداد الجديدة التي راح ضحيتها حوالى ٧٠ قتيلاً و٤٠٠ جريح. وبعد تسع ساعات فقط على العملية أُظهر هؤلاء على التلفاز، وسط أغاني للمغاوير وقوات بدر، واعترفوا بتنفيذ تلك العملية البشعة. وكان الإخراج رديئاً، حتى أنهم على سبيل المثال، كانوا يقولون (أي المتهمين) أن الأستاذ فرج كان يحضر لنا العبوات، فهل لدى هؤلاء الجماعات كلمة أستاذ؟ لقد كانت مهزلة، ولكن للأسف صدّقها البعض، وراح أهالي القتلى يطلبون الثأر من الفلسطينيين.

أحد الذين ظهروا على التلفاز موجود اليوم في مخيم «التنف»، ويعاني أزمة نفسية حادة نتيجة التعذيب. أ. ر. يشير إلى أنه في تلك الفترة بدأت التجارة بالفلسطينيين، حيث كانت ميليشيا ما تختطف هذا الفلسطيني ثم تبيعه إلى ميليشيا أخرى. يضيف أنه بعد حادثة بغداد الجديدة بدأ طرد الفلسطينيين من دوائر الدولة، فلم يعد يستطيع الفلسطيني العمل في سلك التدريس، أو في أي عمل تابع للدولة. ويتم إنذار الفلسطيني بترك العمل خلال أربع وعشرين ساعة أو ملاقاة حتفه. وإذا كان الفلسطيني يسكن خارج منطقة البلديات يأتيه تهديد بوجوب مغادرة المنزل وإلا فالموت المحتم له أو لأحد أفراد العائلة، وفي بعض الأحيان فُجّر المنزل بساكنيه.

ويقول أ. ر. إنه بعد تفجير منارتي المرقدين في سامراء (شباط/فبراير ٢٠٠٦) ازداد قتل الفلسطينيين وأصبح أكثر علانية، إذ قبل ذلك الحادث كنا نظن، أو نوهم أنفسنا، بأن الذين يقتلون الفلسطينيين إنما هم مخترقون من الموساد الإسرائيلي، فلا يمكن لعربي أو مسلم أن يفعل ذلك، أو يمثّل بجثة، أو يغتصب فتاة ثم يقتلها. لكن القتلة كشفوا عن وجوههم، فإذا بهم ميليشيات طائفية معروفة، وفرق الموت التابعة للحكومة، وأخذ مسؤولوهم يظهرون ويهدّدون علانية. جاءوا يوماً حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحاً، ودخلوا مسجد القدس، الذي يصلي فيه الفلسطينيون، وكسّروا محتوياته، وكتبوا عبارات بذيئة بحق الفلسطينيين على جدرانه. ثم كان إطلاق نار يومي على بيوت الفلسطينيين في منطقة البلديات، فيُقتل من يُقتل، ويُصاب من يُصاب.

يتابع الحديث ث. ح. أنه في ذلك اليوم اتصل بمسؤول في جيش المهدي، كان صديقاً له قبل احتلال العراق، وطلب منه أن يجمعه بأحد رجال الدّين في الحسينية القريبة. يضيف «دخلتُ ووفد فلسطيني إلى الحسينية، مع مرافقي من جيش المهدي، وطلبنا من الجالسين